

تصنيف العلوم عند العرب بين البعد المعرفي وقلق المصير.

~~~~~ د/ بن مزيان بن شرقي

يشكل تصنيف العلوم في الحضارة العربية الإسلامية أحد الموضوعات الهامة التي تكشف عن عمق التفكير العربي الإسلامي في محاولته تجاوز ما ورثه من تصنيفات للعلوم اليونانية.

فلقد ساهمت الحضارة العربية الإسلامية في استلهام الرؤية اليونانية دون الدخول معها في إستراتيجية الرفض، وقفزت عنها متجاوزة طرحها فيما نظرت له من علوم قاعدية، وعليه يمكننا إعتبار هذه القفزة في حد ذاتها منعطفًا لتأسيس علوم عربية منطلقة من منهج ورؤية إسلامية عربية لا تنشد تلك الخصوصية المغلقة على ذاتها وإنما ذلك الإيمان بالعقل كمعطي من معطيات الإنسانية، وبهذا الفهم وبه فقط تمتكت من أن تكون و لمدة من القرون حضارة سائدة خارج حدودها الجغرافية التي نشأت فيها حيث أثرت في حضارات مجاورة قوية وتأثرت دون أن تنتكص بحضارات كانت أقوى في بعض الميادين كما هو الحال مع الحضارة اليونانية.

ويشكل حقل تصنيف العلوم في الحضارة العربية الإسلامية مشهدًا لهذه العلاقة المتداخلة حيث يرسم بعدا معرفيا كما هو واضح لدى جملة من العلماء: فقهاء، ومؤرخون، وفلاسفة إشتغلوا بهذه المسألة من باب التأسيس وخاصة في البدايات الأولى ولكنه مع ذلك يشكل منطلقا للتفكير في سؤال مهم لطالما لم ننتبه إليه ونعني بذلك الإمتداد في البحث الذي تأخذه مثل هذه المسألة لغاية ابن خلدون حيث نلاحظ منعطفًا

\* أستاذ محاضر- قسم الفلسفة- جامعة وهران السانية.

يشكل إنقلاباً منهجياً بما يطرحه ابن خلدون من جديد لا على مستوى إستبدال أو حتى إستحداث طريقة في التحرى من الخبر بل في وضع حد لنمطية من التفكير سادت دون أن يتجرأ أحد من أن يوجه لها النقد وهذه المنهجية الجديدة التي لم يكن غرضها الرفض بل تبيان حدود مستوى ما من التفكير وفتح التفكير على ميادين جديدة للبحث أثرت في إستحداث مجموعة من الطروحات التي تشكل في حد ذاتها سؤالاً مهماً حول مصير تلك العلوم.

**1 - العوامل المساعدة على إنتشار العلوم عند المسلمين :** ظهرت الكتابة عند المسلمين حول مسألة تصنيف العلوم في اتجاهات متعددة منها ما كان تابعا لحقل الأداب ونقصد بذلك الأعمال التي تشكل ضمن دائرة الأدب كفن مستقل بذاته كما هو الحال في الكتابات الموجودة عند الجاحظ في البيان و التبيين، وكتابات أفردت خصصاً لجعل مثل هذه المسائل محور كتاباتها كما هو الحال في الفهرست لابن نديم، وكتابات حاولت قدر الإمكان طرح المسألة من زاوية أنها تشكل قاعدة تنظرية لحقل المعرفة حيث بدأ الكتاب العرب بضم و تصنيف ومنهجة المواد المعروفة من قبلهم في مؤلفات جديدة اعتماداً على الكتب التي كانت توضع عن طريق التدوين والنقل والترجمة حيث ساعدت في ذلك جملة من العوامل منها:

1- الفتوحات الإسلامية وما حصل عليه المسلمون من خلال الاحتكاك بالشعوب والحضارات المجاورة من معلومات أفادتهم في الإطلاع على علوم الشعوب المجاورة نقصد الفرس، واليونان والهند .. الخ.

2- أبحاث الفقهاء في اللغة وما وصلوا إليه من طرق علمية في تأصيل البحث ضمن قواعد اللغة العربية وإغناء التراث الإسلامي بمعاني متعددة بل جديدة لبعض المفردات التي كانت موجودة من قبل.

3- تشجيع الخلفاء و الأمراء للعلماء : بيت الحكمة، و دار العلم...

4- ارتباط ظهور العلوم بأيدولوجية الوحدة العقائدية في الإسلام .

5- ظهور علم الحديث في إطار تدوين السنة النبوية و اعتماد الفقهاء قواعد الإسناد ومبدأ الجرح والتعديل وهما مبدآن إسلاميان غرضهما التحقق من صحة الحديث وروايته و صحة الراوي وقد لقي هذان المبدآن تقدما هائلا من قبل المحدثين. إن هذه العوامل مجتمعة إضافة إلى ما يحمله القرآن الكريم من فهم و تصور جديدين في الحث على طلب العلم دفع بالمسلمين إلى إغناء حقل المعرفة العلمية والاهتمام به، وهكذا أصبح للعلوم عند المسلمين فنا يُبحث فيه عن مراتب العلوم وعلاقات كل حقل بل كل فن من الفنون بالآخر.

يبدو للوهلة الأولى التنوع في الكتابة العربية شاملا لكل ما يمكن أن يدخل تحت ضوء العلم، رغم ما شهدته الحضارة العربية الإسلامية من حركة لترجمة بعض علوم اليونان موالين الأهمية الكبرى لأرسطو خاصة و أن هذا الأخير إستحدث ما يمكن أن نسميه اليوم بالطريقة أو المنهج للوصول إلى المعرفة أو ما يمكن أن نطلق عليه بالمنطق الذي كان غرضه الأساسي هو تبيان كيفية التحقق من صدق معرفة من المعارف، حيث يعتمد في تصنيفه للعلوم إلى:

1 \_ العلوم النظرية (الطبيعية الرياضيات وما بعد الطبيعة)

2 \_ العلوم العملية (الأخلاق والسياسية)

3 \_ العلوم الإنتاجية ( الخطابة و الشعر)

و عليه يمكننا أن نتسأل كيف تعامل المسلمون مع هذا التصنيف وما هي مواطن التجديد ؟

أ/ الهاجس معرفي: أول ملاحظة أساسية تتعلق بمكانة الأنظمة العلمية في الفكر

العربي الإسلامي يمكن الوقوف عليها في مستويين :

إن الكتابة المجاورة للتأليف الذي إشتغل مباشرة بمسألة تصنيف العلوم كما هو الحال مثلا مع رسالة ابن حزم يكشف عن نمط متميز في هذا الباب ونعني بذلك مثلا العمل الذي قام به عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز أو أسرار البلاغة حيث يخرج عن النمطية اليونانية باهتمام لا بالتقعيد النظري لمستويات العلوم بقدر ما يهتم

بالتخریجات اللغوية للكلام و اللسان العربي في بناء و فهم الجمل و الألفاظ ذات المصدر العربي مما سمح بعد ذلك من أن ترقى العبارة العربية و معها البلاغة العربية إلى نمط مستقل شكل مجموع المصطلحات المتداولة في اللغة العربية، كما يمكننا أن نضيف في هذا الباب العمل الذي قام به الخليل ابن أحمد الفراهيدي في جمع و تبويب اللغة العربية، أو حتى من المتأخرين كما هو الحال مع الإمام ابن علی السكاكي في مفتاح العلوم.

مهمة هذه الأعمال كانت تتم-بغض النظر عن خلفياتها الدينية وحتى الكلامية- عن بعد معرفي غرضه التأسيس لعلوم عربية منطلقاً الحضارة العربية الإسلامية في الوقت نفسه يمكننا أن نعيد تأويل قراءة مثل هذه الأعمال على أن فعل التفكير في التأسيس الدافع إليه كان هاجس القلق من أن ينصهر اللسان و الكلام العربي فيما يمكن أن يسمى بالنظرية اليونانية حول الشعر و التي ضمنها أرسطو كتابه، و بالتالي لم تكون الخصائص لأبن جني أو دلائل الإعجاز للجرجاني لتخرج عن الإشكالية العامة التي عاشتها العلوم العربية الإسلامية.

أما المستوى الثاني هو أن تصنيفات المسلمين التي إشتغلت مباشرة على مسألة التصنيف من خلال تخصيص كتب مستقلة أو رسائل تبنت في معظمها التصور الأرسطي رغم التعديلات التي حاولت إضافتها إلا أنها وفي جوهرها العام حافظت على الأرسطية ما عدا بعض الاستثناءات كما هو الحال مع الفارابي في إحصاء العلوم حيث حاول إدخال بعض العلوم الإسلامية الأصلية ضمن التصنيف الذي أورده مع ما قد يلاحظ من أنه حاول المحافظة على النمط الأرسطي حيث يقول في بداية رسالته حول إحصاء العلوم "...ونجعل في خمسة فصول: الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعاليم، وهي العدد والهندسة وعلم المناظر وعلم النجوم التعليمي وعلم الموسيقى وعلم الأثقال وعلم الحيل، والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه، وعلم الكلام"1 وهي مجموع العلوم التي يمكن أن نصنفها كما يلي:

\_ علم اللسان+.

\_ علم المنطق.

\_ علوم الرياضة.

\_ الطبيعة و ما بعد الطبيعة.

علم السياسة و الفقه والكلام.

تشكل مسألة إدراج علم اللسان لدى الفارابي في تصنيفه للعلوم نقطة للتفكير من جهة في إزاحة الغموض الذي ربما طال بعض الأبحاث من أن الفارابي لم يجدد ضمن تصنيفه بل حافظ على النمط الأرسطي ماعدا بعض الإضافات لعلوم قاعدية كما هو الحال مع علم اللسان والفقه وعلم الكلام ومن جهة لنا الحق في أن نسال أنفسنا ما الذي كان قد يخسر الفارابي لو لم يدرج هذه العلوم ضمن تصنيفه؟ وهو سؤال يبدو لنا مشروع لحد ما، ذلك أن غرض من خلال هذه و نعني وجود علم اللسان ضمن أولى مراتب العلوم كانت تحكمه إستراتيجية التأسيس أي أن البعد المعرفي كان مغلفا ضمن إشكال المصير.

ولهذا نلاحظ داخل حقل الفكر العربي الإسلامي بعض الخصوصيات منها عمل أخوان الصفا ونعني به الرسائل الذي مازال بكرا أو العمل الذي قام به ابن حزم الأندلسي في رسالة له تسمي برسالة في مراتب العلوم حققها الأستاذ احسان رشيد عباس حيث تأخذ العلوم التصنيف التالي: علم شريعة الإسلام ( القرآن الحديث الفقه)-النحو- علم اللغة-علم الأخبار-علم الفلك-الرياضات-المنطق-الطب-الشعر-الخطابة-علم العبارة.

كما نجد مستوى آخر من التحول المنهجي في الكتابة التاريخية العربية الإسلامية التي تنوعت موضوعاتها وطرق البحث فيها و التي تجاوزت الرؤية اليونانية بل أنها لم تأخذ بها من حيث أن الخبر التاريخي خرج من رحم الرواية التي كانت حكرا على العلوم القاعدية: الحديث والفقه، وعليه نجد موضوعات المؤلفات التاريخية العربية تأخذ من الثراء والتنوع الطبري (الحوليات) محمد بن إسحاق (كتب السير) محمد بن سعد (كتب الطبقات) المسعودي ابن خلدون (كتب البلدان) ابن خلكان والمقريزي (السلالات

الحاكمة) (كتب التراجم) عروة ابن الزبير (كتب المغازي) ومما يستدعي التوقف والتفكير هنا هو العلاقة التي ترتبط بها المؤلفات التاريخية بالتراجم عند العرب.

هل التراجم تعد عملا بيليوغرافيا غرضه الإحصاء والتعريف والإشهار كما قد يفهم من ذلك للوهلة الأولى وهو الفهم الذي يبدو خطيرا إذا ما أخذ معزولا عن تلك العلاقة التي يجب أن ترتبط فيها التراجم بالمفهوم الجديد للعرب عن التاريخ حيث لم يعد التاريخ إخبار فقط بقدر ما أصبح أفق تتحدد فيه مصير الأمم والحضارات (نقصد بذلك التحول المنهجي الذي بدأنا نلاحظ ثماره بداية من الطبري والمسعودي) من خلال ذلك المفهوم الجديد عن الإنسان والإنسانية والذي بدأت تتحدد ملامحه مع مسكويه في تجارب الأمم والتوحيدي في الإمتاع والمؤانسة .

ب/قلق المصير: يخصص ابن خلدون الباب السادس من المقدمة و المعنون "بالعلوم وأصنافها" لتصنيف العلوم وأنواعها، وبداية من الفصل العاشر نجد ذكر لأنواع العلوم، التي تنقسم في مجملها إلى نوعين: العلوم العقلية و العلوم النقلية إذ يقول "اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعلِيمًا على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه. ..."<sup>2</sup>

فالعلوم الإسلامية في نظره، وحسب الترتيب الذي يورده في المقدمة هي : علوم القرآن والتفسير والقراءات، وعلوم الحديث، و علم الفقه و ما يتبعه من الفرائض، علم الفرائض، أصول الفقه، وما يتعلق به من الجدل والخلافات<sup>++</sup>، علم الكلام، علم التصوف، علم تعبير الرؤيا، وهي علوم في رأيه تخص الأمة الإسلامية فهذه العلوم "النقلية كلها بالملة الإسلامية و أهلها و إن كانت كل ملة على الجملة لا بد من مثل ذلك. فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث أنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة المبلغ لها . وأما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لأنها ناسخة لها، و كل ما قبلها من علوم الملل فمهجورة والنظر فيها محظورة"<sup>3</sup>.

وأن العلوم العقلية لا تخص أمة دون أمة أخرى بل أنها معروفة لدي كل الأمم وهي "طبيعية للإنسان من حيث أنه ذو فكر فهي غير مختصة بملة، بل يوجد النظر فيها

لأهل الملل كلهم و يستتون في مداركها ومباحثها و هي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة<sup>4</sup>

لم يجد ابن خلدون بدا أمام الطبري و المسعودي في الكتابة التاريخية سوى أن يسبح منهجيا على النظام المعرفي للتاريخ وذلك بحرصه على وضعه ضمن طابع علمي وفي توافق تام مع موقفه من المعرفة الميتافيزيقية .

هذا الطابع هو ما يمكن أن نقف عليه ضمن هذه النصوص "" أما بعدُ فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب... إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول، والسوابق من القرون الأول.. وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكانات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابه عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق، وجدير بأن يعد في علومها وخليق<sup>5</sup> .

لنتأمل فقرات النص رغم حملتها المفهوماتية قبل أن نأتي على النص الثاني حيث يمكن أن نقسمه إلى أربعة مستويات : ففي المستوي الأول والذي يمكن أن نعتبره تعريف عام لمعني التاريخ و أهميته كما يفهمه العالم و الجاهل يأتي المستوي الثاني و الذي يأخذ ابن خلدون فيه بتقسيم التاريخ إلى مستويين-شقين- التاريخ من حيث هو ظاهر أي من حيث هو ذاكرة لتخزين الأخبار، أخبار الأمم و الأجيال و الدول علما أن هذا المستوي يمكننا من التعرف عن أخبار نمو و تدهور الدول<sup>++</sup>، ومن حيث هو باطن إمعان للعقل وتحقيق من الأخبار وتعليل.

نتقل إلى النص الثاني، الذي يأتي في بداية الكتاب و الذي يحمل عنوان في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبيه حيث يصف علم التاريخ مبينا مسطرته الزمنية و المكانية التي ينسحب عليها بقوله ""اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم... حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج إلى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة... لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة، وقواعد السياسة، وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها

بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها العثور و منزلة القدم، والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين و من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل المفسرين و أئمة النقل غثا أو سمينا، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قسوها بأشباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق و تاهوا في بيداء الوهم والغلط، و لا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال و العساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنة الكذب و مطية الهذر، ولا بد من ردها إلى الأصول و عرضها على القواعد<sup>6</sup>.

يحلينا هذا النص على مستويات عدة من القراءة : فأما المستوي الأول فهو ذلك الذي يعرف من خلاله ابن خلدون بقيمة علم التاريخ ولعله يبدو جديد ضمن تلك المساحة التي تأخذها الواقعة التاريخية و هي تتعدد من أخبار الأنبياء لتشمل الدول والملوك و حتى الماضين من الأمم حيث يمكن أن يفهم تحت ضوء ذلك أن التاريخ لم يعد حكرا على الخبر الماضي بقدرما أن مساحته الزمنية بدأت تنسحب على ما هو أرضي وكأننا ننتقل مع ابن خلدون من تاريخ السماء إلى تاريخ الأرض، ويأتي غرض ابن خلدون من إدراجه لصفة الإقتداء في وجوب إخضاع الأخبار للتحقيق، وهي عملية نقوم بها بمساعدة علوم مجاورة الشيء الذي يرر وجود المستوي الثالث في التعريف حينما يذكر ابن خلدون بذلك وبين بأن المؤرخين والمفسرين و أئمة النقل كما يسميهم وقعوا في المغالط في نقل الأخبار جراء اعتمادهم النقل دون التمهيد لذا سرعان ما يسترسل في سرد بعض الأمثلة عند المسعودي و الطبري و الجرجاني و ابن الكلبي والبلي و النعلبي والزمخشري و ابن عبد ربه...<sup>7</sup>. مبينا موقفه منهم.

إن ما يهمننا في النص الثاني تلك الجملة التقريرية الأخيرة التي نكاد نكشف فيها عن موقف أساسي لابن خلدون في بيانه الغرض الذي تتأسس عليه رؤيته للتاريخ و الذي يبدو بأنه موقف يقوم على طرد الأفكار التشويشية كما يصفها الأستاذ التريكي على لسان ميشال سار Serres بمعنى أنه بناء يهدف إلى تصفية علم التاريخ من العامة الذين درجوا على الكلام و التحدث في التاريخ نظرا لأهميته و كأي ابن خلدون سيعمل



لاحقا لا على تقعيد قواعد لعلم التاريخ بقدر ما يكون غرضه إضافة إلى ذلك الإعلان بالتوبيخ لمن يتعاطى التاريخ بغير معرفة ودراية تامة بأصوله و قواعده .

وللحد من ذلك يضع ابن خلدون شروطا مبدئية لكل من يريد أن يلم بقواعده والتي يحصرها في أن صاحب هذا الفن محتاج " إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم و البقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر من ذلك و مماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف.."<sup>8</sup> .

وهي مسطرة كما يبدو تنضاف هنا إن لم تكن بشكل أوسع إلى المسطرة الأولى أي أن صاحبه ونعني المؤرخ يشترط فيه سعة النظر والإطلاع ثم الحذر في الحكم وهذا ما يمكن أن نفهمه من كلامه إلى غاية نهاية الفقرة مع ذلك فإن في النص فيه بعض الملاحظات الساسية يمكن أن نجملها فيما يلي :

إن هذه الشروط تجعلنا نفهم حرص ابن خلدون منذ البداية و اهتمامه بما يمكن أن نسميه العملية التسيجية حتى لا يترك المجال أمام المتغافلين والجهلة، و هو ما يصرح به بعد ذلك حينما يقول "... وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة، ... فاختلط المرعي بالهمل، واللباب بالقشر، والصادق بالكاذب، و إلى الله عاقبة الأمور"<sup>9</sup> .

ولغرض الوقوف على أحد تلك الصعوبات الأساسية يذكر ابن خلدون منذ البداية مثالا لذلك و هو ما يسميه الذهول عن تبدل أحوال الأمم و الأجيال، الذي يمكن أن نعتبره مفتاحا لمناقشة التصور الخلدوني للتاريخ حيث يعتبر ابن خلدون الجهل بهذا المبدأ داءً يصعب التفطن إليه لأن " أحوال العالم و الأمم وعوائدهم و نحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة و انتقال من حال إلى حال..."<sup>10</sup> . ليربط العلاقة بين هذه الحركة في تبدل الأحوال وحصول الملك وهي المهمة التي سيناط بها بعد ذلك في تحليله لحصول و تطور وتدهور الملك

يؤكد ابن خلدون منذ البداية على هذا المبدأ "فما دامت الأمم و الأجيال تتعاقب في الملك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد و الأحوال و اقية و القياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة.."11 لقد شعر بضرورة دفع الجانب الواقعي للوقائع التاريخية حيث كانت هذه الأخيرة بحاجة لتصور جديد عن مفهوم الزمن باعتباره الفضاء الذي تدور فيه الأحداث فبعدها حدد ابن خلدون الفضاء المكاني ها هو الآن يبني فضاءا زمانيا للأحداث التاريخية(++++). هو زمنية الإنسان، من خلال مفهومه المحوري حول تبدل أحوال الأمم والدول و لذا كانت أمامه مهمة إعادة بناء موقف من الكتابة التاريخية ولكن ما هي الخيارات الخلدونية لبلوغ نتائج مواقفه من التاريخ ؟

نفى ابن خلدون من البداية الأساس الميتافيزيقي من خلال نفيه لقدرات العقل النظري، وذهب للبحث عن الأساس الإستمولوجي للتاريخ حيث يقرر منذ البداية بأن التاريخ هو خبر عن الاجتماع البشري، و ذلك هو التطابق الحاصل لديه بين الحقيقة والتاريخ، و لذا فهو محتاج لأن يبين قانونا لتمييز الحق من الباطل في الأخبار حيث لا يجد أبلغ من علم العمران ولذا كان يسعى لجعل علم العمران البشري طريقة منهجية لدراسة الخبر التاريخي و التحري من الوقائع التاريخية لذا يواصل في نفس التحليل مزيجا منهج التجريح والتعديل من أمامه ومقيما لقواعد علمه الجديد حينما يحصر المنهج الأول في الأخبار الشرعية و يبين مكانة الطريقة المعرفية الجديدة "... وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية، لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط . و أما الأخبار عن الوقائع فلا بد في صدقها من اعتبار وقوعه، وصار فيها ذلك أهم من التعديل مقدما عليه، إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط، و فائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة، و إذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران .. و فإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار"12

يبدو بأن ابن خلدون يريد أن يجعل من علم العمران البشري منهجا لبناء الحقيقة التاريخية في توافق مع إستراتيجيته الخطابية و التي تهدف إلى تأطير التاريخ بسياج العلم وهذا ما يتضح مباشرة في الفقرة التي تلي النص السابق وهو يقول " " وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تألفينا و كأن هذا علم مستقل، بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري و الاجتماع الإنساني، وذو مسائل و هي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا<sup>13</sup> فهو لا يشبه علم الخطابة من جهة و لا علم السياسة المدنية من جهة أخرى بمعنى أنه علم خلدوني جديد في موضوعه، و عليه يأتي الإشتغال بالعمران البشري ملحقا بالتصور الجديد الذي جملة ابن خلدون حول التطابق الحاصل بين جوهر الحقيقة التاريخية و علم العمران البشري من حيث أن هذه الحقيقة غايتها و جوهرها الإنسان، وعليه فإن يصبح الاهتمام بالتراجم ملحقا بالتاريخ من حيث أنه يحمل تصور جديدا عن مفهوم مصير الإنسان العربي .

نخلص بعد هذا إلى نتيجة ينبني عليها إشكال هذا المقال من حيث أن المقدمة والتي طالما تمت قرأتها منفصلة عما يلحقها تضعنا أمام مفهوم جديد لأزمة العلوم العربية بل أنها تشكل نقطة تحول مهمة بما تضعه و تطرحه من إشكال يحتم بل و يفرض ضرورة تأويل عمل ابن خلدون على أساس أنه قلق من المصير الذي وصل إليه تصورنا حول الإنسان، وضمن هذا الفهم يمكن أن نفهم التراجم على أنها وعي بالمصير و أساس للتاريخ.

## الهوامش

- 1 أبو نصر الفارابي رسالة في إحصاء العلوم " تحقيق عثمان أمين (ط2) المكتبة الأنجلو المصرية القاهرة مصر 1968 ص 52  
+ هناك من يري بأن وجود علم اللسان في المرتبة الأولى ضمن تصنيف الفارابي يدل على جديد الذي أتى به الفارابي خاصة إذا علمنا أن علم اللسان هو منطق اللغة و أن الأرسطية مبنية هكذا لأخصاع اللغة اليونانية إلى منطق النحو الأرسطي.
- 2 ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد "المقدمة" تصحيح أبو عبد الله السعيد المدو، المجلد الثاني، ط2، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت لبنان 1996 ص 117
- ++ إن هذا النوع من العلم يأتي به ابن خلدون هنا كعلم تابع لأصول الفقه حيث يقول عنه" ( ر و أما الخلافات) فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين باختلاف مداركهم و أنظارهم خلافا لا بد من وقوعه لما قدمناه. و اتسع ذلك في الملة اتساعا عظيما و كان للمقلدين أن يقلدوا من شاءوا منهم" المقدمة ص139 نفس المصدر. و هذا الخلاف نفسه انتهى إلى الأئمة الأربع فيما يذكر حيث أصبح مرجع التقليد هو في إتباع هؤلاء و عنده أصبح الخلاف هو خلاف العلماء فتارة بين مالك و أب حنيفة والشافعي يوافق أحدهما و هكذا كما يذكر ابن خلدون حيث كان "هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات و لا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد. إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط، وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلتها" المقدمة ص 140 نفس المصدر .
- 3 المصدر نفسه ص 118
- 4 المصدر نفسه ص 175
- 5 مصدر نفس ص ص 7، 8
- +++ و هذه ملاحظة مهمة يمكننا أن نحتاج إليها بعد ذلك
- 6 ابن خلدون المقدمة نفس المصدر ص 13
- 7 المصدر نفسه ص 30
- 8 المصدر نفسه ص 30
- 9 المصدر نفسه ص 30
- 10 المصدر نفسه ص 31
- 11 المصدر نفسه ص، ص 31، 32
- ++++ للتوسع في هذه النقطة يمكنك الإطلاع على مقال الأستاذ فتحي التريكي " ابن خلدون و الزمنية التاريخية العربية " مقال مذكور سابقا لأن أجال هنا لا يتسع للتفصيل في هذه النقطة رغم أهميتها .
- 12 المصدر نفسه ص 40
- 13 المصدر نفسه ص 40